

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } ٢ شوال ١٤٣٤

قال العلامة السعدي: { وَلَا تَكُونُوا } في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك { كَالَّذِينَ } تغزل غزلا قويا فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته { أَنْكَاثًا } فتعبت على الغزل ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة. اهـ

إِنَّ الثَّباتَ عَلَى دين الله، والاستقامة عَلَى شرعه مطلبٌ كل مسلم صادق يريد رضا الله والجنة، ويخشى عذابه والنار، فَإِنَّ استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيمٌ للصالحين، وقرّة عين للمؤمنين، وتحقيقُ آمال المحسنين .

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ". قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

إِنَّ الاستقامة على الطاعة والثبات عليها هو السبيل الوحيد للسعادة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }.

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصر-فها كيف شاء. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك". رواه مسلم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها تحدثت أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب؟! قال: " ما خلق الله من بني آدم من بشر- إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله عز وجل أقامه، وإن شاء الله أزاعه". أخرجه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه بإسناد صحيح .

بعض أسباب الثبات:

١ - الشعور بالفقر إلى تثبيت الله تعالى: فليس بنا غنى عن تثبيته طرفة عين، كيف وقد قال سبحانه لنبيه ﷺ: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}. ومع ذلك كان نبينا ﷺ يكثر من قوله: "لَا وَمُصَرِّفِ الْقُلُوبِ" [رواه النسائي وابن ماجه بسند جيد .

٢ - الإيمان بالله تعالى: قال عز وجل: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...}. والإيمان الذي وُعد أهله وأصحابه بالتثبيت هو الذي يرسخ في القلب، وينطق به اللسان، وتصدقه الجوارح والأركان، فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل. فالالتزام الصادق في الظاهر والباطن، والمنشط والمكره، هو أعظم أسباب التثبيت على الصالحات، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا...}. فالمشابر على الطاعة، المبتغى وجه الله بها؛ موعود عليها بالخير والتثبيت من الله مقلب القلوب ومصرفها.

٣ - الإقبال على كتاب الله: تلاوة، وتعلماً، وعملاً، وتدبراً: فإن الله سبحانه أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد؛ تثبيتاً للمؤمنين، وهداية لهم وبشرى،

قال الله تعالى: { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } . قال العلامة السعدي: { لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا } عند نزول آياته وتواردها عليهم وقتا بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئا فشيئا حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضا فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكما [من الأحكام] ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خير منه لهم وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية والمناسبة العقلية.

{ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء ويبين لهم الحق من الباطل والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا، ماكين فيه أبدا. وأيضا فإنه كلما نزل شيئا فشيئا، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة وتفرق الفكر فيه بل ينزل الله حكما وبشارة أكثر فإذا فهموه وعقلوه وعرفوا المراد منه وترووا منه أنزل نظيره وهكذا. ولذلك بلغ الصحابة رضي الله عنهم به مبلغا عظيما، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين.

وكان أعلى وأولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلومه ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية .

٤- سؤال الله التثبيت: فإن الله هو الذي يثبتك ويهديك، قال تعالى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } . فألحوا على الله بالسؤال: أن يربط على قلوبكم ويثبتكم على دينكم، فالقلوب ضعيفة، والشبهات خطافة، والشيطان قاعد لك بالمرصاد، ولك فيمن تقدمك من المؤمنين أسوة حسنة، فإن من دعائهم: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } . وما ذكره الله عنهم: { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } . وقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " . رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

٥- نصر دين الله، ونصر أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } . ونصر- دين الله وأوليائه يكون بطرائق عديدة، لا يحدها حد .

قال ابن القيم رحمه الله - حاكياً عن نفسه وأصحابه - : 'وكنّا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضائق بنا الأرض؛ أتينا - أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً، وقوةً و يقيناً وطمأنينة'.

٦ - الوسطية : فعند مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. قال النووي: أَيُّ الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَاهُمْ وَأَفْعَاهُمْ.

من أمثلة هذا الغلو في زماننا ممن يزعم السلفية:

١ - سئل أحدهم: الرأي في رفض مجمع البحوث الإسلامية مشروع تقنين الزكاة وجمعها من قبل الدولة وتوزيعها؟

فأجاب: أحسنوا؛ دا لأن النظام ليس إسلامياً، ولكن لأن الدولة ليست إسلامية في حقيقة الأمر، لا بد أن تكون الدولة دولة إسلامية مش اسماً... إلخ.

٢ - وقال الآخر عن الرئيس السادات: فرعون حقير يرقد الآن في مزبلة التاريخ وحسابه على الله.

وقال : وقد أقيمت الصلوات اليهودية في ميادين تل أبيب على ضوء الشموع حزناً على موته، وحضر ثلاثة من رؤساء أمريكا قداًساً جنازياً بالكنيسة على روحه، لقد كان مصرّاً على أن يدخل التاريخ وقد دخله، ولكن من نفس الباب الذي دخل منه إبليس وفرعون وقارون، ومضى إلى ربه بعد أن صفى كل عداواته إلا عداوته لأُمته اهـ.

• وقال: ولعل سيرة أتاتورك تفسر لنا لماذا يصر طواغيت اليوم على اتخاذه أسوة وقدوة، حتى لقد افتخر «فرعون مصر» الملقب بـ «أنور اليهود» يوماً بأن مثله الأعلى هو «أتاتورك» اهـ.

٣- وقال الثالث: بفضل الله عز وجل والحمد لله أنني أبرأ إلى الله عز وجل من هذه القوانين الوضعية، ومن واضعيها والحاكمين بها، أبغضهم في الله عز وجل وأحكم عليهم بأنهم كفروا!! حين بدلوا شريعة الله .

• وسئل: سمعنا أنكم قلتم: إن الممثلين في هذا المسلسل الفاجر المضلل مرتدون! فهل ما سمعنا عنك صحيح؟

فأجاب: نعم هذا صحيح! الترويج للكفر، الذي يروج للكفر سواء كان مخرجاً أو ممثلاً أو مؤلفاً أو وزيراً!! الذين شاركوا في إخراج هذا المسلسل الذي يدعو للكفر والضلال والانحلال ينبغي أن يكونوا كفاراً مرتدين!!

تصوّر مسلسل يوضع فيه الصليب إلى جوار كلام الله ﷻ إلى جوار الأسماء
الحسنى وإلى جوار سورة الكرسي! لعنةُ الله عليهم ولا كرامة، لعنةُ الله على
وزير الإعلام! نسأل الله أن يدمرهم، وأن يدمر جميع الطواغيت وطاغوتهم
الأكبر!